

ETERNITY

ab ante a post

Outer
Time

Inner
Time

by the **Greatest Master**

Muhyiddin Ibn al-Arabi

translation and annotation

by Mohamed Haj Yousef

Author of the Single Monad Model,
Duality of Time Theory
and Ultimate Symmetry

الأزل

(هذا نص كتاب الأزل للشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي، وفق مخطوط مكتبة جاز الله، رقم 2111، مع المقارنة ببعض المخطوطات والمطبوعات أخرى، فقط فيما يخص الكلمات والعبارات التي يمكن أن تغير المعنى. وأما الهوامش والعناوين والإضافات بين قوسين فهي للتوضيح، وليست من أصل النص، وكذلك التشكيل وعلامات الترقيم والتقسيم إلى فقرات وإضافة العناوين [التي بين قوسين]. وليس الغرض من هذه الطبعة تحقيق كتاب الأزل، بل إعداده للترجمة إلى اللغة الإنكليزية ليصدر ضمن كتاب: Eternity (ab ante - a post) translated by Mohamed Haj Yousef.)

[الخطبة]

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم.
الحمد لله الدائم، الذي لم يزل عاطف الأبدي المعقول على الأزل.
الذي أنطق السنة عباده بالأزلية، فتنة، فثبت بها من ثبت،
وزلَّ بها من زلَّ.

وأظهرها بين سماواته أمراً يرقى ويتنزل.^١
والصلاة على من آثر به على هوى نفسه فاعتزل (في غار حراء)،
فأسرى به إليه، وأنزله لديه خير منزل.

الإشارة هنا إلى قوله تعالى: (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا) [الحديد: 4].

نخلع عليه خلع الاختصاص المخصوص بالنسيب (وفي نسخ:
التشبيب) ٢ والغزل، وعهد إليه أن يكون بينه وبين ربه صورة
الجمال سفيراً، ثم نزل.
فكانت الصورة الدحيية، التي كان جبريل فيها عليه ينزل. ٣
والسلام عليه ما عدلت الكواكب السيارة عن النزول براح
ونزلت بأعزل. ٤

[المقدمة]

أما بعد...

فإن الناس قد أجرى الله على ألسنتهم لفظة الأزل، وينعتون
بها الربَّ سبحانه. فيقول (أحدهم): "الأزلي"، و: "كان هذا
في الأزل"، و: "علم هذا في أزله"، ومثل هذا التصريف. وأكثر

٢ الغزل والنسيب والتشبيب أنواع من الشعر انتشرت في العصور الجاهلية
الأولى عند العرب. فالغزل يكون موضوعه الأساسي هو التغزل بالمحبوب وذكر
محاسنه وصفاته، والتشبيب هو ترقيق أول الشعر وتحسينه، وقيل هو المبالغة في
المدح. وأما النسيب فهو تعبير عن ذكر الديار والأحبة في ابتداء القصيدة، حيث
يقص الشاعر نسب أحبته ومرابعمهم.

٣ ورد غي أحاديث صحيحة كثيرة أن جبريل عليه السلام كان يأتي النبي،
صلى الله عليه وسلم، على صورة الصحابي دحية الكلبي، وكان رجلاً جميلاً.

٤ الراح والأعزل من الكويكبات، التي هي المنازل، وهي تشكيلات من
النجوم. والراح هو سَمَك الرّاح وهو نجم في كوكبة العواء التي تسطع جلياً في
سماء الربيع. والسّمَاك الأعزل هو السنبلّة التي في يد العذراء، وهو أشد النجوم
تألّقاً في هذه الكوكبة.

اللافتين بها لا يعرفون معناها، ولو سئلوا وُحِّقَ معهم البحثُ فيها،
زالت من أيديهم!

[آراء الفلاسفة في معنى الأزل]

وطائفة من النظار (من الفلاسفة وعلماء الكلام) توهموا فيها، أعنى
لفظة الأزل، أن نسبتها إلى الله نسبة الزمان إلينا: فهو في الأزل كما
نحن في الزمان!

فيقولون: قد كان الله متكهما في الأزل، بكلامه الأزلي، وإنه
قال في الأزل: فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ [طه: 12]، لموسى و: أَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى
يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ [الحجر: 99]، لمحمد، عليهما السلام، وما أشبه ذلك.
وطائفة أخرى تخيلت فيه أنه مثل الخلاء (أي الفراغ)، امتداد
معقول. كما الخلاء امتداد في غير جسم، كذلك الأزل امتداد من
غير توالى حركات زمان، فكأنه تقدير زمان.

[معنى الأيام التي خلق الله تعالى فيها السماوات والأرض]

كما جعلوا أن السماوات والأرض وما بينهما، خلقهما الله في ستة
أيام مُقدَّرة، لا موجودة، على تقدير: لو كانت ثمَّ أيامٌ كان هذا
المقدار.

وهذا كله خطأ، فإنَّ السماوات والأرض وما بينهما، إنما خلقهم الله في هذه الستة الأيام الموجودة المعلومة عندنا، وإنها كانت موجودة قبل خلق السماء والأرض.

فإن السماوات السبع، والأرضين، ليست الأيام لها، وإنما الأيام لفلك النجوم الثابت، وقد كان (هذا الفلك) قبل السماوات دائراً، فاليومُ دورته. غير أن النهار والليل أمرٌ آخر معلوم في اليوم، لا نفس اليوم.

فحدث النهار والليل بحدوث السماوات والأرض، لا الأيام. والله ما قال إنه خلقها في ستة أنهارٍ ولا في ستِّ ليالٍ، وإنما ذكر الأيام.

[نسبة الأزل إلى الباري تعالى]

وأما الذين توهموا أنه تقدير زمان، والذين قالوا امتداداً إلى غير أول، فيقال لهم: لا يخلو هذا الأزل الذي نسبتموه إلى الله أن يكون: وجوداً، أو عدماً. فإن كان عدماً، فقد أرحتمونا، فإن العدم نفي محض، ويلزمكم (هذا القول) شناعة، وهو أنكم نعمتُم الباري بالعدم، والعدم لا يُنعت به، وهو محال على الله.

وإن قالوا إنَّ الأزل وجودٌ، ليس بعدم، يُقال لهم: فلا يخلو إما أن يكون (هذا الوجود هو) نفسُ الباري، أو غيره. فإن قالوا: هو نفس الباري، فقد أخطأوا في الإسمية، حيث لم يطلقها الباري على نفسه.

وإن قالوا: هي غيره، فلا يخلو إما أن تكون قائمة، بنفسها، أو
بغيرها. فإن كانت قائمة بنفسها بطلت الوجدانية لله تعالى!

وإن كانت قائمة بغيرها، فلا يخلو ذلك الغير: إما أن يكون نفسُ
الباري أم لا. فإن كان نفسُ الباري فهي له كعلمه وقدرته؛ صفاتُ
معنى، وتصف بالآزلية كما يتصف عندكم العلم القديم وسائر الصفات
بها. فيرجع الأزل منعوتاً بالأزل، والكلام في الأزل المنعوت به
الأزل كالكلام في الأزل الأول، ويتسلسل (إلى غير نهاية).

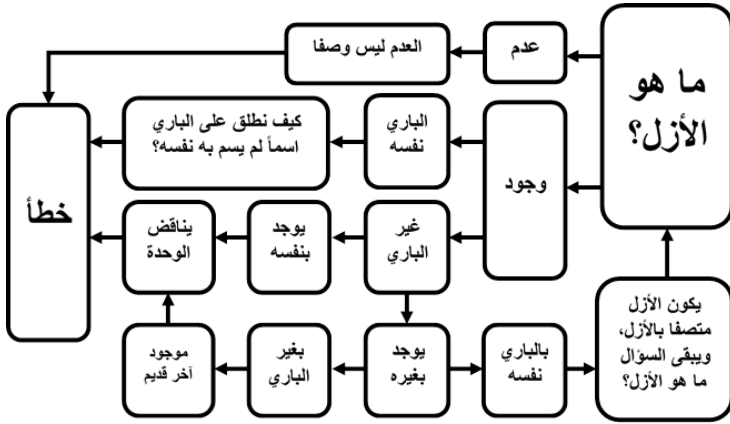
وإن قالوا إنَّ الذي يقوم به الأزل غيرُ نفسِ الباري، فقد أثبتوا
قديماً آخر، وبطل دليل الوجدانية، بما يقوم عليه من البرهان بعد
السبر والتقسيم.

ومحال آخر (كذلك): وهو أن ذلك الموجود الذي قام به الأزل
هو الموصوف بالآزلي لا الباري، لأن المعاني إنما توجب أحكامها لمن
قامت به.

فبطل وصفهم الباري بالأزل، وثبت أن ما ثمَّ أزلٌ أصلاً.
(ولتوضيح تسلسل هذه الحجج، نبينها في الشكل رقم 1.)

[الأزل يُزل]

وبعد هذا، فإني أرجع وأقول أنَّ الأزل موضع مزلة قدم النظائر،
وقد أغفلها أكثر الناس، وكان الواجب أن لا يهملوا جناب الحق،
ولا يطلقون عليه من الألفاظ والنعوت إلا ما أطلقها على نفسه، في
كتابه أو على لسان نبيه.



شكل ١: تسلسل الحجج في نفي صحة وصف الباري بالأزل..

[أصل كلمة أزل]

فانظر يا أخي، نور الله بصيرتك، ما أعجب هذه اللفظة كيف صار معناها مطابقاً لما اشتقت منه: فإنَّ الأزل من أوصاف البهائم الذي يكون منهزماً من خلف، سائلاً، بحيث لا يقبل الركوب، كالزرافة، وما قاربها. لأنه مشتق من زلَّ إذا زلق، ومعناه: لا يثبت. فكذلك الأزل مشتق من هذا، فإنه لا يثبت وتزلُّ فيه أقدام الناظرين، إلا من رحم ربك.

[القول بالأزل جهل]

فلكثرة ما تزل الأقدام فيه يُسمى: أزلاً.

وأما الذين يقولون إنه تعالى تكلم في الأزل بكذا، فإنه يلزم القائلين به شناعات، ولا يحصل بها علم إلا بجهلهم.

[المعنى الصحيح للأزل]

وإنما ينبغي أن يُقال في مثل هذا أن كلام الله صفة له قديمة لا تُكَيَّف، فإنَّ الكيفية في هذا الفن من العلم محال، وإنما يقع العلم بهذا الفن بعد تعلق الإدراك: إن كان من قبيل المرئيات فبالرؤية، أو من قبيل المسموعات فبالسمع، أو من قبيل المشمومات فبالشم، وهكذا سائر الكيفيات.

فاذا ثبت أن الله موصوف بالكلام، وأن الكلام غير مُحدَث، فلا يحتاج ذلك إلى أزل ولا إلى غير أزل.

[متى كلم الله موسى؟]

فقول: لما خلق الله موسى، عليه السلام، وكان من أمره ما كان، وأبصر النار، وقصده، ناداه الحق في ذلك الوقت - في حق موسى عليه السلام، لأنه يتقيد بالزمان - والباري غير متصف بالوقت والزمان، وقال له بكلامه القديم: اخلع نعليك، وغير ذلك، وسمع موسى عليه السلام الكلام المنعوت بنفي الأولية، من غير تكييف لنا، ولا تحديد، بل كما ينبغي أن يكون عليه القديم من الجلال.

فالمتكلم في لا زمان والسامع في زمان. °
وليس من يقول إنَّ الباري قارن كلامه حركةً زمانية - فإن
موسى مقيد بالزمان - بأولى ممن يقول بعكس هذا: وأن موسى سمع
في غير زمان، لأن المتكلم ما تكلم في زمان.

[تنزيه الخلق أولى من تشبيه الخالق]

وَلُحِقَ مُوسَى بِالتَّنْزِيهِ أَوْلَى مِنْ لِحَاقِ الْبَارِي بِالتَّشْبِيهِ.
وقد قيل:

ظهرت لمن أبقيت بعد فئائه - فكان بلا كون لأنك كنته
فقد لحق العبد هنا بالتنزيه، لما تحقق سرُّه بالحق، وتعلق به بحكم
التنزيه.

تنزه السرُّ عن عالم الكون لأنه فانٍ عنه، مشاهد لما ظهر إليه من
باريه.
وقال الآخر:

تسترتُ عن دهري بِظِلِّ جناحه - فعيني ترى دهري وليس
يراني

فلو تُسأل الأيامُ عني ٦ ما درت - وأين مكاني، ما درين مكاني
فهذا الآخر قد لحق بالتنزيه وتعالى عن الزمان، وزاد على الأول

° وفي مخطوط آخر: "فالمتكلم لا في زمان والسامع في زمان"، وأما في بعض
المطبوعات (مثل طبعة حيدر آباد القديمة وطبعة دار الكتب العلمية 2010،
ضمن "رسائل ابن عربي"): "فالمتكلم في الزمان والسامع في زمان!"
٦ في بعض النسخ: ما اسمي، بدلا من: عني.

بدرجة، وهو أن الأول فإن، وهذا قال: عيني ترى دهري وليس
يراني، فإن الحق يرانا ولا نراه، فهذا قد تحقق بالحق.

[كيف نرى الباري يوم القيامة؟]

ومما يؤيد هذا الباب: رؤيتنا للباري سبحانه، فإننا لا نشك أننا بعضنا
من بعض في جهة، وأن الباري سبحانه يرانا اليوم ونحن مقيدون
بالجهات، ولا ترجع إليه جهة من حيث أنه يرانا.

كذلك لو كشف غطاؤنا عنا لأبصرناه في غير جهة، على ما هو
عليه من نعوت الجلال والكمال، ونحن في وقت إدراكنا إياه في جهة
من بعضنا في بعض، لا منه.

وهكذا الزمان والمكان وكل ما يتعلق بهذا الباب.

وإننا منّا (الآن) لسنا في جهة، والعالم كله ليس في جهة من
نفسه!

فلا يحتاج بعد هذا التقرير أن نقول: تكلم في الأزل فقال اخلع
نعليك، على أنها ستكون، فلما بلغ الوقت تكلم بأنها كائنة، ولما كان
اليوم قالها على أنها كانت، وهذا كله على الحقيقة إنما هو العلم، ليس
الكلام، وفي هذا من الشناعات وسوء العبارة ما لا يخفى على عاقل.

[الأزل نعت سلمي]

وأما المحققون: فإن الأزل عندهم حكمه حكم القدم، وهو نفي
الأولية، فهو نعت سلمي، ليس بصفة أصلا، فالأمر فيه هين قريب،

ويتبين ما نذكره في إيجاد العالم عن عدم. فإياك أن تتوهم، كما توهمه الضعفاء، من أن العالم كان يجوز أن يوجد قبل الوقت، ويعني تقدير الوقت الذي أوجده فيه، ويجوز أن يتأخر عنه، فاختصاصه بذلك الوقت دون ما يجوز عليه يفتقر إلى مخصص، فلا بقولهم قبل وبعد، ولا زمان، ولا تقدير زمان، لأن التقدير في لا شيء فيه ما فيه، وما ثم شيء إلا الله، فن كل وجه وحال يكون هذا خلفاً من الكلام.

[وجود الحق ووجود الخلق]

والذي ينبغي أن يقال إنَّ الباري موجود بنفسه، غير مستفاد الوجود من أحد، فإنه ليس إلا هو سبحانه. والعالم موجود به، مستفاد الوجود منه، لأنه ممكن بذاته، واجب الوجود بغيره، من حيث أنه مستفيد، والباري واجب الوجود لذاته، غير مستفيد. وبأن العالم عدم، والعدم عين المعدوم، لا أنَّ العدم أمر زائد على المعدوم، ولا أنَّ الوجود أمر زائد على الموجود. بل العدم نفس المعدوم، والوجود نفس الموجود، وإن كان يُعقل الوجود ولا يعقل ماهية الموجود، فيتخيل أن الوجود ليس عين الموجود، بل هو حال من أحوال الماهية، ولا تُعرف الماهية حتى تُعرف من جميع وجوهها وتمتاز، كما اذا قلت في الجوهر أنه شيء، فلا نشك أن كونه شيء من ماهيته، ولكن ما نعقل ماهية بقولنا شيء فقط، حتى نقول، إن كنا أشاعرة، أنه شيء قائم بنفسه متحيز قابل للعرض. فهكذا الوجود والعدم، فليس بين وجود الحق والخلق امتداد،

كما يتوهم ولا أنه بقي كذا وكذا ثم أوجد، فإن هذه كلها توهمات خيالية فاسدة تردّها العقول السليمة من هذا التخييط. فلا بينة عند الحق، ولا عند الخلق في الإيجاد؛ إنما هو ارتباط محدثٍ بقديم، أو ممكنٍ بواجب، أو واجبٍ وجودٍ بغير واجبٍ الوجود بذاته؛ ليس إلا.

[اعتراض محتمل]

وربما يعترض علينا في هذا الأزل من حيث إننا من محققي الصوفية، فيقول قد قال بعض أئمتكم ممن تشهدون له بالسبق في طريق الحقائق، حين ذكر في كتابه: مراتب العباد والمريدين والعارفين والعلماء، وقال في شأن الله أنه سبحانه ليس بينه وبين عبادته نسب إلا العناية، ولا سبب إلا الحكم، ولا وقت غير الأزل،^٧ فقد اثبت الأزل! قلنا: تحقق أيها المعترض قول هذا المحقق أن الخطاب يكون من البليغ على حسب ما توطئ عليه في العالم، حتى يفهم السامع من لغته واصطلاحه ما يريد، فنفي الوقت وأثبت الأزل، والأزل عبارة عن نفي الأولية، والنفي عدم محض، فما ثم شيء، ولا ثم ثم. فينتفي الأزل بما يُعقل من معناه، مثل القدم، فالمعرفة بما يعرف الناس المحققون من معنى الأزل، لهذا جاء به، ولو عرف أنه يتوهم منه المحققون (من أهل النظر) أنه امتدادٌ في لا شيء، أو زمان مقدر

^٧ هذا الكلام ذكره ابن العريف الصنهاجي في محاسن المجالس، ونقله عنه الشيخ محي الدين في الفتوحات المكية أكثر من مرة (ج 1 ص 92، ج 1 ص 175).

يعطي بَيِّنَةً بعيدة بين الخلق والحق، (لما قال به)، فلهاً كان حصول الأزل النفي، وهو عدم، لذلك لم يبال به.

فصل [آراء الفلاسفة في القدماء]

ثم نرجع ونقول بعد هذا التقرير: هل كان في الأزل مع الله أحد، أم لا؟

فقلت طائفة: القدماء أربعة: الباري، والعقل، والنفس، والهيولى.
وقالت طائفة: القدماء ثمانية: الذات، والسبع الصفات (الأمهات).
وقالت طائفة: ما ثم قديم إلا واحد، وهو الحق تعالى، وهو واحد من جميع الوجوه، ولذاته حُكْمٌ يسمى به قادراً، وهكذا كل ما جعلوه هؤلاءك صفة (كالحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر، وهي الصفات السبع الأمهات التي يتفرع منها باقي الصفات).

[الحقيقة الكلية (الخيالية)]

وقالت طائفة بقول هذا (الأخير، ولكن) وزادت معنى، وذلك المعنى يسمى حقيقة الحقائق، وهي لا موجودة ولا معدومة، ولا محدثة ولا قديمة، ولكنها في القديم قديمة، وفي المحدث محدثة، تُعقل ولا توجد بذاتها؛ كالعالمية، والقابلية، وما أشبه ذلك.

[نحن أزيلون]

فإذن، فإثْمَ في الأزل إلا واحداً؛ (ب) معنى أنه ما انتفت عنه الأولية إلا واحداً: إلا "أنا"،^٨ فإنه لنا في الأزل حكمٌ بوجه ما: فإننا قد علمنا أننا معلومون لله تعالى ولا عين موجودة لنا، وأن الأشياء لها أربع مراتب في الوجود: وجود في العلم، ووجود في العين، ووجود في الكلام، ووجود في الرقم.

فلنا بهذا الحكم في الأزل مرتبتان في الوجود: المرتبة الواحدة مقطوع بها، وهي مرتبة وجودنا في علمه (سبحانه وتعالى)، والأخرى غير مقطوع بها، على ما قدّمنا، وهو وجودنا في الأزل من كونه (سبحانه وتعالى) قائلاً أو متكلماً، وهنا نظراً، وقد ذكرنا منه طرفاً فيما تقدم من هذا الكتاب.

وقد ذكرنا هذا الفصل مستوفى محققاً في كتاب (إنشاء) الجداول والدوائر لنا، فلينظر هناك فإن هذه العجالة تضيق عن بسط هذه المسألة، والمقصود من هذا الكتاب إنما هو الأزل والأزلي، لا غير. فنحن أزيلون بهذا الاعتبار، لا أن أعياننا موجودة أزلاً.

^٨ شطبت العبارة "إلا أنا" في بعض المخطوطات، وصححت، وكتبت هذه الجملة في بعضها على الشكل: "ما انتفت الأولية إلا عن واحد، وكان لنا في الأزل حكم بوجه ما". كما هو موضح في تحقيق عبد العزيز المنسوب، الذي أثبتنا بهذا الشكل الأخير. ولكن ما أثبتناه هنا هو الأصح، وعلى هذا ستنبئ بعض النتائج في الفقرات التالية والخلاصات في آخر الكتاب، منها قوله بعد قليل: "اعلم أن سر الأزل وروحه، والذي به وجود الأزل، إنما هو أنا". والله أعلم.

[أسرار الأزل]

وإذ قد تقرر من لسان العلم في الأزل ما فيه غنية، فلنرجع إلى لسان الأسرار فيه من باب التوسع.

[أفلاك الأزل سباعية]

فأقول إنَّ أفلاك الأزل سباعية، التي للتحق، وذلك عند حلِّك تركيب هذه الحروف إلى بسائطها، وهي ثلاثة أحرف (هي: أ، ز، ل، وبسائطها: أ، ل، ف، ز، ي، ل، م، بعد حذف المكرر)، لكل حرف حضرة؛ والحضرات ثلاثة (وهي الذات، والصفات، والأفعال)، غير أن اللام عندنا مركبة من حرفين (هما: أ، ن)، فيكون على هذا أربعة (أ، ز، ل = أ، ز، أ، ن)، مثل (عدد حروف لفظ الجلالة): الله. ويتطابق الاسم والنعت بوجود الألفين، واللام (كما هو مصحح على هامش المخطوط، وفي الأصل: اللامين واللام)، والأكثر مع الجلالة.

[اللام ألف ونون]

وإنما قلنا في اللام أنه مركب من أجل رِقِّه، فإنه من ألف ونون (ل=أ+ن): فدائرة اللام مع عطف اللام عليها دائرة كاملة، وهي

دائرة الكون، ولما لم يظهر من دائرة الكون إلا القطر،^٩ لهذا يظهر الزاي بصورة النون، ولم يظهر بصورة الميم. والألف من حيث الرقم للذات الإلهية في (الحديث): كان الله ولا شيء معه، والزاي بينها وبين اللام (مثل) حجاب العزة بينه وبين خلقه.

[ضرورة الحجاب]

ولهذا أظهر الزاي في الشكل على صورة النون، إلا أنه يقصر عنه، والسبب الموجب لذلك (القصور هو) أن النون، وهو جوف اللام، لا يبدو (للخارج)، ولا تناظر منه للزاي، إلا قدر شكل الزاي، فلهذا لم يكمل الزاي كمال النون، لأنه حجاب، ولو كمل مثل النون لم يكن له ما يحجب، فتبطل حقيقة الحجاب، والحجاب لا بد منه، فلا بد من شكل الزاي أن يكون على ما ظهر، ولما وقع الحجاب، ربما بطل الكون، ولا بد من الحافظ، فإنه لولا الحفظ ما بقي الكون.

^٩ هذا الكلام بليغ لا يمكن فهمه إلا على أساس نظرية ازدواجية الزمن، والتي تشرح كيف تصدر الأبعاد المكانية من النقطة في كل لحظة من الزمان العادي. فالكون الظاهر هو على الحقيقة في بعدين فقط، وهو الماء، الذي منه جعل الله كل شيء حي، وأما إدراكنا للعالم المادي المعتاد في الأبعاد الثلاثة فهو إدراك آني فقط، يحصل كل لحظة ولا يستمر وجود زمانين.

[الله حافظ الخلق بالظل]

وقد نبه الله تعالى أنه حافظ خلقه بنفسه، فقال: (وَلَا يُوَوِّدُهُ حَفْظُهُمَا) [البقرة: 255]، (أي: وَلَا يُوَوِّدُ "هُ" حِفْظُهُمَا) فقال: "هُ" (أي: هو) حفظهما، فهو عين الحفظ، فهو عين الحافظ، فكانت الألف - التي هي قائمة اللام على رأس النون، الذي هو جوف اللام - ظل الألف الأولى (من كلمة أزل=أزأن) من خلف حجاب العزة (وهو الزاي): فالكون (وهو النون) محفوظ بالظل (وهو هذه الألف الثانية).

ولما كان (الكون) ظلُّه، ظهر على صورته، فكأنه هو، والظلُّ كناية عن الرحمة: تقول "أنا في ظل فلان". وقال تعالى (في الحديث القدسي): المتحابون بجلالي اليوم أظلهم بظلي، يعني يوم القيامة.

[ألف العظمة]

وأما الألف الأولى، إذا كانت في اللفظ فهي ألف العظمة، وتكون عند ذلك همزة، ويكون حجاب العزة صادراً منها فإن الزاي في بسائط الهمزة (وهي مفردات حروفها: ه، م، ز، ة) فإذا كان ألف العظمة كان قائمة اللام (وهي الألف الثانية) ليس بظل وذلك لأن الألف لا يكون ظلاً للهمزة، لأنها على غير صورتها، ومن شرط الظل الصورة، ولهذا أقول في ظل العرش أنه ظل الرحمة، وأن الرحمة اسمٌ من أسماء العرش، فتكون قائمة اللام إذاً بهذا النظر حافظة

"من الأمر" (أي حفظها هو من الأمر، أي بالأمر)، كما قال تعالى (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) [الرعد: 11] أي من أجل أن أمرهم الله، وقال (يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً) [الأنعام: 135].

[مراتب الأزل الثمانية والثلاثون]

ثم إن العالم ثلاث مراتب: علوي وسفلي ومتوسط بينهما، وما ثمّ عالم رابع.

وإن المنازل التي تنزل فيها الأرواح المُسَخَّرَة السيارة ثمانية وعشرون منزلة، وهي: النطح، والبطين، والثريا، والدبران، والميسان (الهنعة)، والتحية (المقعة)، والذراع، والنثرة، والطرف، والجبهة، والخرتان (الزبرة)، والصفرة، والعواء، والسماك، والغفر، والزبانا، والإكليل، والقلب، والشولة، والنعائم، والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، والفرع المقدم، والفرع المؤخر، والرشاء. وكل منزلتين وثلث منها تسمى برجا (من الأبراج الاثني عشر)، فهي عين البروج.

والأرواح السيارة التي قد جعل الله بيدها زمام تدير العوالم، سبعة، وهي: زحل، والمشتري والمريخ، والشمس، والزهرة، والكاتب (عطارد)، والقمر.

وبترحيل هذه الكواكب في هذه المنازل ربط الله الانفعالات في هذه العوالم، فكان جماع العالم ثمانية و ثلاثين (المراتب الثلاث المذكورة، والمنازل الثمانية والعشرون، والكواكب السبعة السيارة)، والأزل ثمانية و ثلاثين (بحسب الجمل: أ=1، ز=7، ل=30)، فظهر

العالم على صورة الأزل من طريق العدد، والأزل من نعوت الله، فهو على صورته، والله خلق آدم على صورته، والعالم على صورة آدم، فارتبط الكل بالكل.

وظهرت الأربعة التي هي من أشرف الأعداد، وهو: العالم والإنسان والأزل والله.

فتحقق ما ذكرناه فإنه من لباب المعرفة الإلهية!

[فناء العالم]

ثم إنه في الأزل نكتة عجيبة، وهو أن العالم لما ظهر بدعوى الظهور أراد الحق أن يطمسه بأزليته؛ فلا يبقى للمحدث أثر. فتجلى "أزل" ففني العالم بظهور الألف من "أزل" خاصة، وبقي "زل"، في حق العالم (ولهذا لا يبقى جوهر في الوجود زمانين، وإنما يتجدد عليه الخلق فيبدو كأنه هو، وما هو إلا أثر الألف، أو ظلها الذي مده الله تعالى): كأن سائلاً سأل أين العالم؟ ف قيل له: زلّ بظهور ألف الذات! والألف هي المطلوبة من الأزل خاصة من أجل الأحدية.

تنبيه [أنا سر الأزل]

اعلم أن سر الأزل وروحه، والذي به وجود الأزل، إنما هو "أنا"! وهكذا إخوان الأزلية، كالقديمة، والأولية، والآخرية، والظاهرية، والباطنية، وهذه كلها لولا "أنا" ما كان منها شيء!

فإن صحت هذه النعوت له أزلاً، فأنا هناك أزلاً، بلا أزلية، وإن لم تصح هذه النعوت، ولا (صحَّ وجود) عيني، فليست هناك. وهذا الفرقان بين أسرار النعوت وأسرار الصفات والأسماء.

[الأسماء والصفات والنعوت]

فالأسماء إنما هي موضوعة للدلالة على الأشخاص من غير معنى يكون في الشخص منها، مجردة عن هذا كله، إلا عن العينية.

فإن عَقل من الاسم معنى في المسمى يدل عليه الاسم (كأن تسمي فلاناً: كريم، ثم يكون موصوفاً بالكريم)، فليس هو المقصود بالاسم، لأن أصل الوضع في الأسماء إنما هو لتمييز عين المسمى من مسمى آخر خاصة (من غير النظر إلى أي صفة أو معنى)، و(حتى وإن) اتفق أن هذا الاسم يدل على معنى في المسمى يستحق به هذا الاسم، (فهو) غير مقصود للواضع.

وقد تكون (الأسماء) أسماء أجناس، كالإنسان، والملك، والحيوان، والفرس، والمراد بهذا الجنس (كله)، و(أما الأسماء المفردة) كزيد، وجعفر، وهذه الشجرة، فهذا من أسماء أعيان الشخصيات.

والأوصاف إنما هي لمعان تكون في الموصوف، تسمى صفات، كالعالم، اسم من قامت به صفة العلم، وهو وصف للعالم، ليس باسم، واسمه مثلاً "علي" أو "زيد" أو "خالد"، فهذا هو اسمه الذي يدل على عينه خاصة. فإن سمي بعالم ابتداءً، كما سمي بزيد، وعلي، فليس هو بمقصود للواضع إن سماه عالماً لقيام صفة العالم، أو لتوهمه أنها تكون

فيه، أو لأنه حيوان ناطق فيعلم علما ما. فإنَّا نَجُوزُ أن نسمي "عالما":
 الحجر، والشجرة، لا بمعنى أنها تقبل صفة العلم، ولا هي فيها، فمتى ما
 توهمها واضع الاسم فليس بمُسمِّ على الحقيقة، وإنما هو واصف.
 وهكذا في كل اسم يعطي الاشتقاق، ويدل على معنى يقوم
 بالمسمى، فهو وصف في الحقيقة، والمسمى واصفاً، والمراد الصفة،
 والعين من حيث تلك الصفة لا من حيث ذاتها.
 فهذا هو الفرق بين الاسم والصفة.

[دلالة الأسماء الحسنى]

وهكذا ينبغي أن تكون أسماء الباري الخاصة؛ أن تدل على مجرد
 الذات كـ"الله"، والـ"هو"، إذا لم يتفق ويصح أن يكون (هذا الاسم)
 غير مشتق من شيء، وكذا هو عند المحققين، ولهذا جعلوه الاسم
 الأعظم، لأنه لا يتقيد بمعنى ما في الذات، ولا بحكم ما من أحكام
 الذات، وإنما دلالاته على عين الذات، بخلاف اسمه "القادر" فإنه يدل
 على معنى في الذات يسمى "القدرة"، أو حكم من أحكام الذات
 في مذهب النفاة، وهكذا "الحي" و"المريد" و"السميع" و"البصير"
 و"الكريم" و"الرحيم". ولهذا قال الله (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) [الأعراف:
 180]، لإزالة اللبس عند السامع، وإذا ذكر له وهو غائب. وكذلك
 الكليات. ١٠

لهذا السبب، لما وقع الاشتراك في الأسماء، زال المقصود من

١٠ في المطبوعات: الكائنات!

الاسم، فزادوا النعوت والكنايات، مثل هذا، وغير ذلك.

[تميز الأسماء الحسنی]

والباري سبحانه لا يشترك في شيء مع خلقه وإلا كان ثمَّ آلهة، ولا يصح!

فكانت (أسماءه تعالى) أسماءً حسنى، من حيث أنها لأحكام عنده، أو لمعان فيها تسمى صفات، ولا شك أن هذا الاسم أعلى من ذلك الاسم الذي يطلب العين عندنا خاصة.

ثم لا يخلو توهمك في أسمائه الحسنی: هل تريد بكلامه أو كلامنا؟

فإن أردت الأسماء التي سمي بها نفسه بكلامه، فتلك لا يقابلها شيء، ولا تتصف بشيء، ولا يسمي نفسه بها بشيء زائد على الذات.

وان أردت الأسماء الواردة في الكتب المنزلة التي أطلقها على

نفسه في عالم العبارات والألفاظ بوجودنا: فلا بدَّ من نعت "الحسنی" لها، ولا نشك أن أسماءه له أزلاً من كونه متكلاً خاصة، لأنها من أحكام الكلام.

وباب الأسماء يطول الكلام فيه وقد أفردنا له كتاباً (هو: كشف

المعنى عن سر أسماء الله الحسنی، كما ينظر أيضاً في الباب 558 من الفتوحات المكية).

[الفرق بين النعوت والصفات]

وأما النعوت والفرق بينها وبين الأسماء والأوصاف: إنها ألفاظ لا تدل على معنى قائم بذات المنعوت، ولا هي بأسماء، فإنها تكون للمنعوت بها، وهو مسمى باسم يُعرف به، وإنما النعوت ألفاظ تدل على الذات من حيث الإضافة، وهكذا نسميها أسماء الإضافة، كالأول، فإن نفي الأولية عنه واجب، لا بدّ من ذلك، فإذا نعتناه بالأولية فلا بدّ من وجود أعياننا. وكالقدم، عند مقابلة حدوثنا، فإنّ الباري وجوداً مطلقاً، لا أول له ولا آخر، هو "الهو" على الحقيقة.

وكذلك الأزل؛ وإنما نُعتَ به من أجل الزمان في حقنا، وتوهّمنا الامتداد في "كان الله ولا شيء معه"، بفقد أعياننا، ليس غير ذلك. وكذلك الظاهر والباطن، في حق من ظهر له، وبطن عنه. والباطن أتم في النعت من الظاهر، فإنه ظاهر لنفسه، ولا يكون باطناً لنفسه، فإنه محال.

فمثل هذه الأسماء تُسمى عندنا وعند المحققين "نعوتاً" لا "أسماءً" ولا "أوصافاً".

فالأزلي "نعت" لا "صفة" كـ"القديم" وشبهه من أسماء الأوصاف.

[الفرق بين النعت والصفة]

وقد يتوهم العاقل أنه لا بدّ من معنى، يعني أنه لا بدّ أن يعقل من هذا النعت أمراً يرجع إلى الماهية، إن لم تكن تعطيه الماهية فلا يجوز هذا النعت، ولهذا هو عندنا: النعتُ أكمل من الصفة، فإن الصفة لا

تعطي ماهية الموصوف، والنعته يبين عن الماهية. وهو (أي النعت) أيضاً أرفع من الاسم، على ما قررنا من الأسماء. وقد شمل لفظ "الأسماء": الأسماء والنعوت والصفات. فالأسماء أولاً لأنها للعين من غير أن تعطي من الماهية شيئاً، ولا من معانيها القائمة. والنعته (ثانياً) يتلوه لأنه يدل على الماهية بوجه. والوصف آخر لأنه يدل على معنى في الذات، عند مثبتى الصفات، ويدل على حكم عند النفاة.

[الخاتمة]

فقد مشى في الأزل ما فيه غنية ومقنع لكل ذي قلب سليم.
تم الكتاب والحمد لله رب العالمين.